مجلة آفاق علمية ISSN: 1112-9336
المجلد: 13 العدد: 02 السنة 2021 ص 242 – 257

تاريخ الإرسال: 2020/10/01 تاريخ القبول: 2020/11/02
تاريخ النشر: 2021/04/30

النقد السوسيولوجي: التحليل السوسيوبنائي في النقد المغاربي
Sociological Criticism: Socioepidemiologic Analysis in Maghreb Criticism

[1] ط.د نصيرة بوسيس
مخبر الموروث الثقافي والعلمي لمنطقة تامنغست.
المركز الجامعي تامنغست ؛ nassira21tam@yahoo.com
[2] أ.د عبد الوهاب بوشليحة المركز الجامعي تامنغست ؛ ibnaarabi112@yahoo.fr

الملخص:

تلقى الناقد المغاربي النقد السوسيولوجي من مظانه الغربية بأنواعه المختلفة بداية من السوسيولوجية التجريبية، ثم مرورا بالسوسيولوجية الجدلية ووصولا إلى السوسيونصية والسوسيوبنائية، وغيرها من اتجاهات ما بعد الحداثة.

سنحاول بالاعتماد على الوصف والتحليل استخلاص النتائج تتبع هذا التلقي تعريفا وممارسة، محاولين الإجابة عن السؤالين التاليين: ما الخصائص المميزة للتلقي المغاربي للتحليل السوسيوبنائي؟ وكيف استطاع الناقد المغاربي تطويع الأدوات الإجرائية للنقد السوسيوبنائي الغربي في مقاربة النصوص الإبداعية العربية؟

الكلمات المفتاحية: النقد السوسيولوجي، التحليل السوسيوبنائي، البنيوية التكوينية، النقد المغاربي.

Abstract:

The sociological criticism received from Maghreb critic among his Western beliefs, from experimental sociology, to dialectic sociology to sociological, and other postmodern trends.

We will try to follow this receipt Basing on description, analysis and comparison, by definition and practice, then we try to answer the following two questions: What are the characteristics of receiving the Maghreb sociostructural analysis? How did the Maghreb critic adapt the procedural tools of Western sociostructural criticism in the approach to Arab creative texts?

Keywords: Sociologicalcriticism, sociologicalanalysis, formative structure, Maghreb criticism

المؤلف المرسل: نصيرة بوسيس ، الإيميل: NASSIRA21TAM@YAHOO.COM

1.تمهيد:

انفتح النقد المغاربي على النظريات النقدية المختلفة ما قاربها منها الأعمال الأدبية من الخارج، وما التزم بالنص من الداخل، وما تجاوزهما إلى المتلقي، واستفاد الناقد المغاربي من المثاقفة مع الروافد الغربية والتتلمذ على أيدي النقاد الغربيين، وترجمة أعمالهم.

شكل النقد السوسيولوجي باتجاهاته المختلفة التي عبرت عما شهدته النظرية السوسيولوجية من تحولات نفترض ارتباطها بالبنيوية التي مثلت مركزا وسطا سبقته مناهج ما قبل البنيوية، وتلته المرحلة التي مثلت مناهج ما بعد البنيوية.

وسنحاول في دراستنا استعراض أسس النقد السوسيولوجي من خلال آراء أبرز أعلامه الغربيين، ثم تبيان مدى استطاعة الناقد المغاربي تطويع الأدوات الإجرائية للنقد السوسيوبنائي الغربي في مقاربة النصوص الإبداعية العربية؟

2. أسس النقد السوسيولوجي ومرتكزاته:

عرفت النظرية النقدية الحديثة مجموعة من المناهج تباينت في إيلاء الأهمية لطرف من أطراف العملية الإبداعية الثلاثة (المؤلف – النص– المتلقي)، وما ترتب تبعا لذلك من تقسيمات، لعل أبرزها تقسيم النظرية النقدية الحديثة إلى

اتجاهين نقديين: أولهما النقد السياقي ويهيمن عليه خارج النص بمناهجه الخارج نصية، والآخر النقد النسقي بمناهجه اللغوية والنصية؛ كما يطيب لبعض الدارسين "اعتماد المركزية البنيوية في التقسيم على أساس أن المنهج البنيوي يمثل وسطا في التحولات المعرفية الكبرى في النظرية يليها ويسبقها مرحلتان، مرحلة ما قبل البنيوية؛ أي المناهج السياقية (تأريخي، نفسي، اجتماعي)، ومرحلة ما بعد البنيوية؛ أي المناهج الممثلة لأحدث التصورات الفكرية مثل التفكيكية والتأويل والتلقي والسيميائية"[1]، وما رافقها وتبعها من مناهج نقدية معاصرة.

قدم خالد علي ياس في كتابه (سوسيولوجية النقد القصصي العربي الحديث مقاربة في نقد النقد) تقسيما للنظرية النقدية الحديثة معتمدا على ارتباط النظرية بالتحولات المعرفية في الثقافة الإنسانية ومدى مواكبة ما عرفه المجتمع من تحول للهاجس الإنساني؛ "أي من خلال تقسيم المناهج من حيث أفكارها إلى نمط ينتمي لمرحلة (ما قبل الحداثة)، وهي المناهج التي اعتمدت الرؤية المضمونية أو الرؤية التي تواكب بين الشكل والمضمون، ولاسيما بتأثير نظرية الانعكاس كما اشتهرت مع أشهر المفكرين والنقاد الاجتماعيين، ثم نمط يمثل مرحلة (الحداثة)، وتتحدد هنا البنيوية التكوينية أو ما يعرف بمناهج السوسيولوجية الحديثة، ونمط ثالث متمم ومطور لما سبقه يتمثل بمرحلة (ما بعد الحداثة)، ويعنى بالمناهج النقدية المعاصرة جميعها من حيث علاقتها بالسوسيولوجية مثل المنهج السوسيونصي والتأويل والتلقي والسيمياء والنقد الثقافي"[2].

وما يستوقفنا في هذا التقسيم هو اعتماد الدارس على ارتباط المناهج النقدية ابتداء من ما قبل الحداثة وصولا إلى ما بعد الحداثة بالرؤية السوسيولوجية والمعرفة الثقافية، فقد اعتمد الأساس السوسيولوجي معيارا للتقسيم، وجعل بداية الإبداع سوسيولوجيًا مع هيجل حين فسر الرواية تفسيرا اجتماعيا، وتجلت الرؤية المادية مع

كارل ماركس واعتماده التحليل الاجتماعي، ويؤكد أن "علاقة النقد الأدبي بقوانين علم الاجتماع بدأت بوقت مبكر بعيدا عن المضمار الجدلي (هيغلي وماركسي) أي منذ منتصف العقد الثالث من القرن الثامن عشر مع المفكر والسوسيولوجي (جان بابيست فيكو) في كتابه (مبادئ العلم الجديد)، مما هيأ الذهنية الأوروبية فيما بعد إلى تبلور علم اجتماع متأثر بالفكر الوضعي–العقلاني ولاسيما بعد تراجع كثير من المفاهيم الأسطورية والخرافية والمثالية"[3]، والفضل في ذلك لأعلام سوسيولوجيين من أمثال مدام دي ستايل وهيبوليت تين وغيرهما من النقاد والفلاسفة.

ويؤسس جورج لوكاتش ولوسيان غولدمان لمرحلة الحداثة الفكرية في النقد السوسيولوجي[4]، والتي كان من ثمارها النقد البنيوي التكويني وما واكبه من نقد سوسيو أسلوبي قوامه الحوارية مع ميخائيل باختين، وليستفيد نقاد سيوسيولوجيون من أمثال بيير زيما وجاك لينهارت وغيرهما بعد ذلك من التحولات التي عرفها التفكير الإنساني وما أفرزته مرحلة ما بعد الحداثة من مناهج وإستراتجيات عضدت النقد السوسيولوجي، ولعل أبرزها السيميائية والتفكيكية ونظريات القراءة والتلقي والنقد الثقافي.

ويعتمد عبد الوهاب بوعلي على بيير زيما وهو يميز بين طريقتين أساسيتين في النقد السوسيولوجي: "طريقة السوسيولوجيا التجريبية (Sociologie Empirique) التي تدرس العناصر الخارجية عن النص الأدبي مثل دراسة القراء والكتاب والناشرين، وطريقة السوسيولوجيا الجدلية (Sociologie Dialectique) التي أطلق عليها لوسيان غولدمان البنيوية التكوينية فيما بعد"[5]؛ ويؤكد أن السوسيولوجيا التجريبية عبر عنها الفرنسي روبير إسكاربيت والألمانيان فوكن وسيلبيرمان والسويدي روزنجرين.

ويمكن أن نميز في السوسيولوجيا التجريبية اتجاهين أساسيين: أولهما يبتعد بالدرس الاجتماعي عن مجالات الأدب وعن المقاييس الجمالية، ويعرف الثاني بسوسيولوجيا المضامين، وسبب هذه التسمية هو نظرته إلى النصوص الإبداعية بعدّها وثائق اجتماعية، ولا يخفى بذلك أن السوسيولوجيا التجريبية تفصل المقاربة السوسيولوجية عن الممارسة النقدية؛ إذ "ما يميز هذا الاتجاه السوسيولوجي الأول [السوسيولوجيا التجريبية] بشقيه هو تجاهله للكيف، وإيلاؤه الأهمية القصوى للكم، وما تجاهل أصحاب هذا الاتجاه للمقاييس ذات الطبيعة الإستطيقية سوى دليل على تفضيلهم للكم"[6]، متجاهلين العلاقة الجدلية بين الاجتماعي والجمالي.

ثم ينتقل عبد الوهاب بوعلي إلى السوسيولوجيا الجدلية التي مثلها جورج لوكاتش ولوسيان غولدمان وبيير زيما وجاك لينهارد، رغم ما بين هؤلاء من اختلافات، فإذا كان لوكاتش وغولدمان قد أسسا للنقد البنيوي التكويني، فإن بيير زيما ومعه باختين قد أسسا لما يمكن أن يطلق عليه النقد السوسيونصي، أو ما أطلق عليه أحد الدارسين (سوسيولوجيا النص الروائي) وهو يربطه بالتنظير الروائي باتجاهاته الثلاثة: النقد الجدلي مع هيجل، والاتجاه البنيوي التكويني عند لوسيان غولدمان وجورج لوكاتش "اللذين وصفا الرواية بكونها تعبيرا عن رؤية العالم، باتجاههما النقدي السوسيو–روائي، يصطلح عليه (سوسيولوجيا الرواية)؛ وهناك اتجاه آخر عند باختين ومن بعده بيير زيما يصطلح عليه (سوسيولوجيا النص الروائي)"[7].

ولا يبتعد عبد الوهاب شعلان كثيرا عما ورد سابقا في إشارته إلى الهاجس النقدي الذي فرض على بعض النقاد العرب المعاصرين إلى ورود معين "النقد السوسيونصي الغربي كما تجلى لدى رواده أمثال لوسيان غولدمان (L . Goldman) الذي طرح مفهوم البنيوية التكوينية (Structuralisme Genetique) وميخائيل باختين (M. Bakhtine) في أطروحاته المتميزة عن الكرنفال

(Carnaval) والحوارية (Dialogisme)؛ وبيير زيما (P.V. Zima) الذي بلور نسقا منهجيا سماه: سوسيولوجيا النص الأدبي (Sociologie)، إضافة جوليا كرستيفا (J.Kreistiva)، وبيار ماشري (P.Machery) الذي عرف مفهوم النقد الاجتماعي (Sociocritique) عنده أبعادا منهجية أكثر إجرائية وعلمية"[8].

يؤكد نبيل راغب في كتابه (موسوعة النظرية الأدبية) في تناوله للنظرية الأدبية السوسيولوجية (الاجتماعية) أن النظرية السوسيولوجية لم تتبلور "إلا باجتهادات جورج لوكاتش ولوسيان غولدمان وغيرهما من المفكرين والفلاسفة والنقاد الذين استفادوا من النظريات الأدبية الحديثة وفي مقدمتها البنيوية التوليدية. فقد سعوا إلى تأسيس ما عرف بعلم اجتماع الأدب الذي لم يصدر عن فراغ، حيث سبقه الكثير من الكتب والأبحاث والدراسات التي حاولت أن تقنن العملية الإبداعية ومدى تأثيرها في المجتمع وتأثرها به"[9]؛ ليتعمق هذا التيار السوسيولوجي بأعمال لوكاتش وغولدمان بربطهما بين الإبداع والظواهر الاجتماعية.

3.مفهوم النقد السوسيوبنائي:

يتداخل مصطلح النقد السوسيوبنائي مع مصطلحات كثيرة تسبح دلالاتها في فضاءات النقد السوسيولوجي أو النظرية السوسيولوجية، ويمكن أن نبرر كثرة هذه المصطلحات بعاملين بارزين: أولهما تقصي هذه المصطلحات في أصولها الغربية، والعامل الآخر مرتبط بالتلقي العربي لهذه المصطلحات ترجمة وتعريبا، وما يفرزه هذا العمل من اختلاف بين المترجمين باختلاف ثقافاتهم ومرجعياتهم الفكرية، وحب بعضهم للتميز بالمخالف والفريد.

ولعل أكثر المصطلحات حضورا في المدونة النقدية العربية والمعبرة عن النقد السوسيوبنائي وما يقترب منه من المصطلحات نذكر: النقد الإيديولوجي، النقد الماركسي، النقد السوسيونصي، النقد السوسيو أسلوبي، سوسيولوجيا النص الأدبي،

سوسيولوجيا النص الروائي، سوسيولوجيا الرواية، سويولوجية النص القصصي، البنيوية التكوينية (التوليدية)، وغيرها من المصطلحات.

وللتمثيل على هذا التداخل بين هذه المصطلحات يمكننا التدليل بما أورده محمد الكتاني في تقديمه لكتاب حميد لحمداني (الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي دراسة بنيوية تكوينية)، وقد كان أشرف على هذا العمل يوم كان رسالة جامعية، حيث يقول: "وقد أعلنت يوم مناقشة هذا البحث أنه عمل جاد، وأنه يقتحم منهجا للدراسة النقدية ما يزال في تجاربه الأولى، وهو تطبيق منهج (البنيوية التكوينية) في تحليل النص الروائي وتفسيره"[10].

وينتقل ليؤكد أن حميد لحمداني وفق في التحكم في أدوات دراسته، خاصة في ارتباط البنيوية التكوينية بمبدأ التناظر بين مضمون العمل الروائي والبنية الفكرية المعبر عنها، ويبرر ذلك بقوله: "لذلك كان لابد من ازدواج التحليل البنيوي بالتحليل الأعمق للبنية الفكرية والاجتماعية، وقد جاء المنهج البنيوي التكويني أو التحليل (السوسيو–بنائي) ليحقق التوازن بين المنهج اللغوي والمنهج الاجتماعي"[11]؛ فمحمد الكتاني يساوي بين المنهج البنيوي التكويني والتحليل السوسيوبنائي لاعتمادهما على المرتكزات ذاتها.

وإذا حاولنا تحديد حدود المنهج البنيوي التكويني، فقد تبدو لنا البنيوية التكوينية واقعة "في منطقة وسطى بين المناهج النقدية السياقية التي تفسر الأدب استنادا إلى خارج النص، والمنهج البنيوي الذي يغلق النص على نفسه، وقد أكد رائدها لوسيان غولدمان علاقة الأديب بواقعه الاجتماعي بعيدا عن مبدأ الانعكاس الذي نادى به أقطاب المنهج النقدي الاجتماعي، ورأى بنية النص الأدبي تناظر بنية خارجية لشريحة اجتماعية"[12].

وليتجلى المنهج البنيوي التكويني كما أسس له غولدمان مستفيدا من أستاذه الماركسي جورج لوكاتش "فلسفة متكاملة ذات منظور نقدي يتجاوز سلبية النقد إلى استشراف إيجابية تنسجها الجدلية القائمة بين الذات والموضوع، تلك الجدلية الممثلة لجوهر كل علم تكويني، فداخل كل بنية توجد بذرة نافية لها، بذرة تؤشر على ما ستكونه، أي بداية تبنين يؤسس بنيات جديدة، ويلغي البنيات القائمة"[13]؛ ويقر بذلك لوسيان غولدمان أن منهجه يتبع نقد الواقع القائم من خلال الجدلية المحايثة بفعل الذات الجماعية وتفكيرها.

ويرى الباحث الجزائري سليم بركان في بحثه (النقد السوسيوبنائي في الجزائر) أن النقد السوسيوبنائي يركز على "دراسة بنية العمل الأدبي دراسة تكشف عن الدرجة التي يجسد بها هذا العمل البنية الذهنية التي تتمتع بها الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها المبدع"[14]، ولا يستطيع الناقد السوسيوبنائي الكشف عن هذه البنية الذهنية إلا بالاعتماد على مجموع ما يحويه النص من معارف حقول العلوم الإنسانية والاجتماعية، وصولا إلى تحقيق "قراءة تهدف أساسا إلى الوقوف في وجه الشكلانية لترد الاعتبار للأثر الأدبي مركزة على خصوصياته [...] فالنقد السوسيوبنائي جاء كرد فعل على النقد الشكلاني الذي ألغى دور التاريخ وهمش المجتمع وغيب عبقرية النص في عملية التشكيل الفني والجمالي والفكري بالنص الأدبي"[15]؛ولا يغيب تداخل مفهوم التحليل السوسيوبنائي في تعريف الباحث السابق مع التحليل البنيوي التكويني إلى حد يجعل التحليل الأول هو التحليل الثاني نفسه دون زيادة أو نقصان.

ويخالف خالد علي الياس الرأي السابق الذي يساوي بين البنيوية التكوينية والسوسوبنائية[16]، ويرى أن التحليل السوسيوبنائي أعم من النقد البنيوي التكويني الذي يمثل إحدى دعامتين تضاف إلى دعامة أخرى تتمثل في أسلوبية باختين الحوارية،

فمن تركيب الدعامتين يتحقق التحليل السوسيوبنائي، وهو ما حاول الناقد المغربي حميد لحمداني تجسيده في عمليه (الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي دراسة بنيوية تكوينية)، وعمله الآخر (من أجل تحليل سوسيوبنائي للرواية –رواية المعلم علي أنموذجا–).

وقد يلفت الانتباه اختيار الناقد المغربي لحمداني لمصطلح (السوسيوبنائي) الذي وسم تحليله للرواية المنتقاة، وقد وضح في المدخل المنهجي لعمله النقدي سبب اختياره التحليل السوسيوبنائي، وأكد أن مشروعية الصيغة المنهجية المقترحة تستند إلى مجموعة من الاحتياطات أبرزها اثنان: أولهما تجنب استخدام مصطلح (البنيوية)، والآخر الابتعاد عن توظيف مصطلح (سوسيولوجيا النص) وما يترتب عنه من الاعتقاد بحياد صاحب العمل الأدبي في تصوير المواجهات الإيديولوجية في عمل الروائي[17].

4. التحليل السوسيوبنائي في النقد المغاربي:

مثل الناقد المغاربي حلقة من حلقات تلقي النقاد العرب للنقد السوسيولوجي ممن مظانه الغربية بأنواعه المختلفة بداية من السوسيولوجية التجريبية، ومرورا بالسوسيولوجية الجدلية ووصولا إلى السوسيونصية والسوسيوبنائية، وغيرها من اتجاهات ما بعد الحداثة، وقد يدفعنا ذلك إلى استعراض بعض الأسماء العربية المغاربية التي اعتمدت المقاربات النقدية السوسيولوجية الممثلة لمرحلتي الحداثة وما بعد الحداثة.

قد تستوقفنا الدراسات التطبيقية التي قاربت النص الشعري، ونستهلها بالناقد التونسي طاهر لبيب وكتابه (سوسيولوجيا الغزل العربي –الشعر العذري نموذجا) والذي أكد فيه تبنيه لمنهج البنيوية التكوينية عند غولدمان مع بعض التصرف، يقول في تمهيده للكتاب: "ولا نختم هذا التمهيد دون إثارة ملاحظتين: أولاهما أن القارئ

الذي سيلقى هنا مجددا ما هو جوهري من خطوات لوسيان غولدمان البنيوية التكوينية سيكون قد عرف مسبقا أن هذه الخطوات جرى تليينها، وذلك لأن الأهمية التي أولياها للسان منذ البداية أكبر من تلك التي نجدها عند غولدمان"[18]؛ وترتبط الملاحظة الثانية بهامشية الزمر المدروسة، التي نفى لبيب اقتصار البنيوية التكوينية على محاولة فهم الهامشي وتفسيره.

وكتاب محمد بنيس (ظاهرة الشعر المعاصر بالمغرب. مقاربة بنيوية تكوينية) والذي وسمه التحليل البنيوي في عنوانه الفرعي إلا أن صاحبه أكد استفادته في أغلب الدراسة من منهجين هما: المنهج البنيوي والذي يعامل النص حسب بنيس "كعالم ذري مغلق على نفسه وموجود بذاته، فتدخل تبعا لهذا المفهوم في مغامرة الكشف عن لعبة الدلالات"[19]؛ والمنهج البنيوي التكويني والذي حدده بالمنهج الاجتماعي الجدلي ورائده غولدمان، والذي يرفض إغلاق النص على نفسه.

ولعل في مزاوجة محمد بنيس بين المنهج البنيوي الشكلي والمنهج البنيوي التكويني تحقيقا للمقاربة السوسيوبنائية، وقد دفع هذا الاختيار المنهجي الناقدة يمنى العيد إلى القول: " لقد استطاع بنيس في دراسته للشعر المغربي المعاصر أن يقدم تجربة لها –رغم اعتمادها على هذين المنهجين– صياغتها المنهجية الخاصة، وهي وإن كانت في أساسها ممارسة تجمع بين منهجين إلا أنها استطاعت بتناولها للنص العربي وبإطلالة ثقافية جدية على وضعية النقد الحديث وتطوره في العالم الغربي، أن تنتج طابعا منهجيا يميزها، وأن تستبطن مفهوما خاصا تعتمده في النظر إلى النص الأدبي، وهو بذلك يطرح على نقدنا سعيا جديا نحو التمنهج العلمي بتميز خاص"[20].

وقد يخالفها الرأي عبد الوهاب بوعلي دون أن يغفل ما في دراسة بنيس من تميز، يقول: "دراسة محمد بنيس تبقى أهم ما صدر في مجال دراسة الشعر المغربي

المعاصر، ومن زاوية خاصة وهامة، هي زاوية المنهج البنيوي التكويني، ويظهر أن بنيس عندما اختار منهجه هذا، كان على وعي تام بضرورة تحديث النقد العربي، والبحث عن مناهج جديدة خارج مناهج البحث السائدة العربية التقليدية والغربية الاستشراقية"؛ إلا أن بنيس –حسب هذا الدارس[21]– وقع في جملة من المآزق الرئيسة بدأها بالمأزق المنهجي حين جمع الناقد المغربي بين مجموعة من المناهج النقدية، وعدم قدرته الاستغناء عن المنهج البنيوي الشكلاني، واستخدامه لآليات إجرائية تبتعد عن المنهج البنيوي التكويني.

يضاف إليها "المأزق الثاني الذي وقع فيه بنيس يتعلق بحدود الموضوع، أي اختياره للمتن الشعري الذي لم يأخذ فيه بعين الاعتبار إلا حدا واحدا هو حد الفترة الزمنية، إنه لمن الضروري بمكان خصوصا عندما يتعلق الأمر باستخدام منهج كالمنهج البنيوي التكويني أن يحصر الباحث موضوعه بالدقة الكافية"[22]، وقد ينجر عن ذلك التعميم والإطلاق أحكاما فضفاضة مضطربة تفتقد للدقة والضبط المنهجي.

وبالانتقال إلى المقاربات النقدية السوسيوبنائية التي قاربت الأعمال الروائية، تستوقفنا دراسة حميد لحمداني في كتابه (الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي دراسة بنيوية تكوينية)، والتي أشرنا سابقا إلى أن مقدم الكتاب والمشرف عليه يوم كان رسالة أكاديمية لنيل دبلوم الدراسات العليا عدّها ضمن الأعمال التي اتخذت البنيوية التكوينية منهجا حاولت توظيف منظومته الإجرائية وأقر أنها تحليل سوسيوبنائي وازن بين المنهج اللغوي والمنهج البنيوي، ولا تخفى أهمية هذه الدراسة.

استقت دراسة لحمداني من معين بنيوية لوسيان غولدمان خاصة كتابه (من أجل سوسيولوجيا للرواية – pour une sociologie du roman) الذي حدد فيه مرتكزات النقد الجدلي الأربعة[23]: يوضح المرتكز الأول أن النتاج الأدبي ليس انعكاسا بسيطا للوعي الجماعي، ويؤكد الثاني وجود علاقة انسجام بين الوعي

الجماعي والأعمال الفردية الكبيرة، والمرتكز الثالث يتمثل في كون كتاب كبير قد يتبنى فكرا يخالف فكرة الجماعة التي ينتمي إليها اجتماعيا؛ ويتمثل المرتكز الأخير في أن "الوعي الجماعي ليس حقيقة أولية، ولا هو بحقيقة مستقلة إنه وعي يتكون ضمنيا من خلال السلوك العام للأفراد المساهمين في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية"[24].

ويحدد لحمداني منهجه انطلاقا من هذه المعطيات المنهجية يقول: "تعتبر فهم العنوان الذي وضعناه لهذه الدراسة –وهو يجعل غايته تحديد الرؤية الروائية للمجتمع المغربي بالشكل الذي درجت عليه بعض الدراسات النقدية المستلهمة لمنهج تين (Taine) أو للمنهج الجدلي في صيغته الأولى– لا يستجيب للأبعاد التي نتوخاه من وراء هذا البحث وهي أبعاد أمدنا بها المنهج التكويني الذي حددنا بعض ركائزه الأساسية"[25]؛ وتبقى دراسة لحمداني من أهم الدراسات التي تسلحت بإجراءات المنهج البنيوي التكويني، وقد سبقتها دراسته (من أجل تحليل سوسيوبنائي للرواية) والتي أبرز منهجه المعتمد فيها، والذي استفاد من مرتكزات النظرية لسوسيولوجيا النص "بحكم اهتمام هذا الاتجاه واستيعابه للجانب اللساني والبنائي في دراسة الأدب"[26]، ولقدرته على استجلاء المعطيات السوسيولوجية في الأعمال الروائية.

ومن الدراسات النقدية الجزائرية التي اعتمد صاحبها المنهج السوسيونصي دراسة الناقد الشريف حبيلة (الرواية والعنف، دراسة سوسيونصية في الرواية الجزائرية المعاصرة) يقول صاحب الدراسة في مقدمة كتابه منطلقا من قدرة الرواية على امتلاك وتجسيد مقومات البعد الوظيفي المأساوي: "وانطلاقا من ذات الرؤية سأعتمد المنهج السوسيونصي في معالجة القضايا التي يطرحها البحث، مع الارتكاز على روافد منهجية اجتماعية كانت أو نفسية أو جمالية أو فلسفية عند الحاجة من أجل استجلاء عناصر النص وتفاعلاته"[27]، واللافت للانتباه هذا الاضطراب المنهجي

المعلن عنه، رغم أن الدراسة وسمت بالتحليل السوسيوبنائي وهي تكاد تكون قاسما مشتركا بين الدراسات المغاربية التي تبنت النقد السوسيولوجي باتجاهاته المختلفة.

إن محاولة التعريج على المؤلفات المغاربية التي تمحورت حول النقد السوسيولوجي باتجاهاته المختلفة، وهي تحاول التعريف بها والتأسيس لها بإظهار خلفياتها وطرائقها وأصولها ومرتكزاته وصولا إلى المنظومة الاصطلاحية التي يتسلح بها الناقد السوسيولوجي، سنكتفي بذكر بعضا منها مثل كتاب نور الدين صدار(البنيوية التكوينية في المقاربات النقدية العربية المعاصرة)، الذي عرف بالبنيوية التكوينية في مظانها الغربية بداية من خلفياتها الفلسفية والفكرية، واستعرض أهم مرتكزاتها وأسسها من خلال أبرز أعلامها، وصولا إلى تطبيقات هذا المنهج البنيوي في النصوص العربية القصصية والشعرية.

واستطاع الباحث محمد الأمين بحري في كتابه (البنيوية التكوينية من الأصول الفلسفية إلى الفصول المنهجية) أن يعرف بالمنهج البنيوي التكويني متتبعا أصوله الفلسفية التي استقى منها رواده أسس هذا المنهج النقدي خاصة لوكاتش وغولدمان الذي تتبع منظومته الاصطلاحية.

5.الخاتمة:

ونخلص من خلال هذا الاستعراض لأسس النقد السوسيولوجي ومرتكزاته وتلقيه في النقد المغاربي إلى النتائج التالية:

*– تأكيد ما أقره بعض الدارسين المغاربة بخصوص استمرار النقد السوسيولوجي حاضرا في نقد ما بعد البنيوية بأشكال تباين ما كان سائدا في مرحلة البنيوية وما قبلها.

*– مثّل النقد السوسيوبنائي تيارا من تيارات النظرية السوسيولوجية، وقد تداخل مصطلح (النقد السوسيوبنائي) مع مصطلحات كثيرة تسبح دلالاتها في فضاءات النقد السوسيولوجي.

*– تميزت معظم المقاربات المغاربية التي اعتمد التحليل السوسيوبنائي بالاضطراب الناتج عن استخدام مجموعة من المناهج رغم التصريح بالاعتماد السوسيوبنائية أو البنيوية التكوينية.

*– استمرار نظرية الانعكاس حاضرة في كثير من المقاربات النقدية المغاربية رغم تأكيد النقاد تجنبهم لها واعتمادهم على الآليات الإجرائية لنقد الحداثة وما بعد الحداثة.

*– هيمنة المقاربات النقدية التي اختارت تحديدا الرواية نماذج للدراسة السوسيولوجية خاصة في مرحلة ما بعد الحداثة، وقد يكون سبب ذلك استطاعة هذا الجنس الأدبي التعبير عن البنيات السوسيولوجية ورؤية العالم والجوانب الإيديولوجية.

6. المراجع:

[1]– خالد علي ياس: سوسيولوجية النقد القصصي العربي الحديث (مقاربة في نقد النقد)، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2017، ص15–16.

[2]– نفسه، ص16.

[3]– نفسه، ص17.

[4]– نفسه، ص18.

[5]– عبد الوهاب بوعلي: البنيوية التكوينية من خلال نماذج نقدية عربية، مجلة فصل الخطاب، محبر الخطاب الحجاجي، جامعة ابن خلدون، تيارت، الجزائر، المجلد 8، عدد 1، مارس 2020، ص36.

[6]– نفسه، ص38. إحالة إلى

Pierre V. Zima- L’ambivalence Romanesque- Ed. Le Sycomore, Paris 1980, p. 24-24

[7]– فاطمة أكبري زاده وآخرون: دراسة سوسيونصية في (رواية ذاكرة الجسد) لأحلام مستغانمي، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، جامعتا سمنان وتشرين، إيران، سوريا، السنة الخامسة، العدد التاسع عشر، ص5.

[8]– عبد الوهاب: من سوسيولوجيا الأدب إلى سوسيولوجيا النص، ص168.

[9]– نبيل راغب: موسوعة النظريات الأدبية، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، مصر ط1، 2003 ، ص326.

[10]– حميد لحمداني: الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي(دراسة بنيوية تكوينية)، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1985، ص. أ (التقديم).

[11]– نفسه، ص. ب.

[12]– رضوان جنيدي: محاضرات في مقياس المدارس النقدية المعاصرة، قسم اللغة العربية وآدابها، معهد الآداب واللغات، المركز الجامعي تامنغست، 2018–2019، ص20.

[13]– نفسه، ص23. إحالة إلى لوسيان غولدمان وآخرون: البنيوية التكوينية والنقد الأدبي، تر محمد سبيلا، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط2، 1986، ص8.

[14]– سليم بركان: النقد سوسيوبنائي في الجزائر، الملتقى الوطني الأول: النقد الأدبي الجزائري، جامعة مسيلة،21–22 ماي 2006، ص179.

[15]– نفسه، ص 179.

[16]– خالد علي ياس: سوسيولوجية النقد القصصي العربي الحديث (مقاربة في نقد النقد)، ص266.

[17]– حميد لحمداني: من أجل تحليل سوسيوبنائي للرواية(رواية المعلم علي نموذجا)، مؤسسة بشرة للطباعة والنشر، الدار البيضاء، منشورات الجامعة، فبراير 1984، ص21.

[18]– الطاهر لبيب: سوسيولوجيا الغزل العربي(الشعر العذري نموذجا)، تر مصطفى المسناوي، عيون – دار الطليعة ، الدار البيضاء، ط1، 1987، ص7.

[19]– محمد بنيس: ظاهرة الشعر المعاصر بالمغرب(مقاربة بنيوية تكوينية)، دار العودة، بيرون، لبنان، ط 1، ص1979، ص11.

[20]– يمنى العيد: في معرفة النص، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط3، 1985 ص124–125.

[21]– عبد الوهاب بوعلي: البنيوية التكوينية من خلال نماذج نقدية عربية، ص54–55.

[22]– نفسه، ص55.

[23]– حميد لحمداني: الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي(دراسة بنيوية تكوينية)، ص11-13.

[24]– نفسه، ص13.

[25]– نفسه، ص13.

[26]– حميد لحمداني: من أجل تحليل سوسيوبنائي للرواية (رواية المعلم علي أنموذجا)، منشورات الجامعة، المغرب، ط1، 1984، ص19.

[27]– حميد لحمداني: من أجل تحليل سوسيوبنائي للرواية (رواية المعلم علي أنموذجا)، منشورات الجامعة، المغرب، ط1، 1984، ص19.